مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

الدورة التدريبية السابعة ـ شيكاغو

October 1&2 2011

أثر وسائل الإعلام

في تشويه حقائق الإسلام

إعـــــداد

د/ محمد موفق الغلاييني

عضو لجنة الإفتاء الدائمة التابعة لمجمع الفقهاء بأمريكا

عضو هيئة التدريس بأكاديمية الشريعة بأمريكا

وبالجامعة الإسلامية الأمريكية في ديترويت

المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: كثر في الآونة الأخيرة وعبر وسائل الإعلام الأمريكية المختلفة الحديث عن مدى خطورة الشريعة الإسلامية على المجتمع الأمريكي ، وصور هذا الأمر على أنه نوع من التمرد على كيان وتماسك هذا المجتمع بيث يبدو للمتابع لهذه الوسائل وكأن الإسلام جسم غريب يوشك أن ينهك الجسد الأمريكي لذا ويلحق به أفتك الأمراض! لذا فلا بد من انتزاعه قبل أن يسفحل المرض ويتعذر العلاج!

ومن الأمور التي صورت على أنها من أوجه الخطر الكامن في الشريعة: (مسألة المواطنة). فالمسلمون حسب تصورهم وبتوجيه من شريعتهم لا يمكن لهم الإندماج ضمن بنية المجتمع الأمريكي، فهم يعيشون بأجسادهم في هذا البلد وأرواحهم وقلوبهم متعلقة بأوطانهم الأصلية، كما أنهم لا يشاركون مواطنيهم الأمريكيين أفراحهم وأتر احهم، ولا يقبلون عاداتهم الإجتماعية وتقاليدهم الموروثة. والأهم من هذا كله فإن ولاءهم ليس لهذا البلد وإنما للبلاد التي اتوا منها، وهذا يؤدي بزعمهم لعزلة المسلم عن مجتمعه الأمريكي. وبهذا فإن المسلم وبتوجيه من دينه لا يمكنه أن يكون مواطنا أمريكيا حقيقيا! وبهذا تصبح المفاهيم المتعصبة ضد المسلمين هي مقياس المواطنة الصادقة، وهذ يربك كثيرا من المسلمين ويجعلهم في حيرة من أمرهم.

إذا فدائرة بحثي تدور حول الإجابة على هذا السؤال: (هل تعاليم الشريعة الإسلامية تتعارض مع الموطنة والإندماج في بلاد غير المسلمين؟)

أجيب على هذا السؤال عبر المبحثين التاليين:

1 **الرد الفقهي على هذه الشبهة**

2 . نظرة تاريخية للأقلية المسلمة في بلاد غير المسلمين.

1 المبحث الاول:

الرد الفقهي على هذه الشبهة

الإسلام دين ذو طابع إنساني، فهو يُرجع نشأة الخلق الإنساني إلى مصدر واحد. فهو أول شرعة ربانية كبرى دعا إلى الوحدة الإنسانية الشاملة ليعيش الناس في تفاهم ومودة وتعاون وأمن واستقرار، ونرى صدق هذا في نصوص كثيرة، منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ..﴾([1]) وقوله سبحانه: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) ([2])

عن سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ قال حدثني أَبَا نَضْرَةَ قال: حدثني من شَهِدَ خُطْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى

قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إن رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلا بِتَقْوَى اللَّه.) ([3]).

فالإسلام يعترف بالأخوة الإنسانية. ولذا فالمسلم يستطيع العيش مع الآخرين ممن يختلف معهم في الدين أو المعتقد بسلام وأمن على أن يلتزم بما ’فـــرض عليه من عبادات وأحكام تتعلق به أو بأسرته. أما التشريعات الإسلامية الخاصة بالمجتمع فإن الإسلام يطالب بها المسلم ليطبق منها ما يستطيع، ولا يجبر الآخرين على التقيد بها في المجتمعات التي لا تنضوي تحت حكمه. فأحكام الإسلام التشريعية إنما تطبق في ديار الإسلام التي للحاكم المسلم عليها ولاية وسلطان.

---

[1] سورة النساء: 1
[2] سورة الحجرات: 13
[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم 239

تعريف المواطنة:

المواطنة كلمة تتسع للعديد من المفاهيم والتعريفات. فالمواطنة في اللغة مأخوذة من كلمة: (الوطن) وهو الذي يوفر الإقامة والحماية. أما كلمة: (مواطنة) فهي تصريف على وزن: مفاعلة من كلمة وطن، والعرب عرَفوا الوطن معرفة مبسطة فهو مجرد مقر الاقامة، ، فالوطن هو: (المنزل الذي نقيم به وهو موطن الإنسان ومحله، ويقال أوطن فلان أرض كذا أي اتخذها محلا وسكنا.) ([1])

ويكاد هذا التعريف أن يتطابق مع مختلف القواميس العربية القديمة. ولكننا نجد إضافة بسيطة في القاموس العربي الحديث. فالوطن هو: (مكان إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماؤه ولد به أو لم يولد.) ([2]) فهذا التعريف الحديث يضيف فكرة الإنتماء للوطن، وهي فكرة حديثة.

ولعل التعريف القديم ُقرر في زمن سبق قيام الدولة الحديثة، فقد كان تعريف الوطن هو تلك المساحة من الأرض التي تقيم فيها جماعة متآلفة من البشر يكونون قبيلة أوجماعة عرقية أودينية.

ولكننا نرى اهتماما خاصا بهذا المصطلح مع ظهور الدولة الحديثة وحدودها الجغرافية والسياسية.

فلفظ "مواطن" كمصطلح لم يظهر إلا بعد الثورة الفرنسية سنة(1789 م)

و قد توسعت نظرية المواطنة مع التطور وظهور الحركات السياسية والحقوقية وتغير المنظومة السياسية العالمية وظهور نظم الديموقراطية الليبرالية لتطالب بتوفير الدعامة الثانية للمواطنة وهي: المواطنة الحقوقية وبذلك قسمت حقوق المواطنة إلى ثلاثة مكونات:

1 **المواطنة المدنية:** و تعد إحدى أهم نتائج القرن الثامن عشر، والتي أقر من خلالها بعض الحقوق المدنية مثل: حرية التعبير والفكر والحريات الدينية، وكذلك إقرار لمبدأ المساواة أمام القانون.

2 **المواطنة السياسية:** وظهر مفهومها مع القرن التاسع عشر، وتؤكد على الحقوق الخاصة بالمشاركة في إدارة الشأن العام للبلاد، والمشاركة السياسية مثل الحق في التصويت والترشيح للوظائف العامة.

---

[1] لسان العرب لابن منظور

[2] المعجم الوسيط: 1085/2

3 المواطنة الاجتماعية: وظهر مفهومها في القرن العشرين. وهي المكون الذي يعتني بضمان حد أدنى من الأمن الاقتصادي للمواطن لحمايته من قوى السوق خاصة بعد أن ظهر على السطح عيوب الممارسات الرأسمالية، وهو ما كان يعني ضرورة تدخل الدولة لضمان الحدود الدنيا من الأمن المادي والاقتصادي لرعاياها.

وهناك منظور نفسي للمواطنة وهو الشعور بالانتماء والولاء للوطن، وللقيادة السياسية التي من مهماتها تأمين الحاجات الأساسية للمواطنين، وحمايتهم من الأخطار الداخلية والخارجية. وبذلك فالمواطنة هنا تؤكد على أهمية العلاقة مع الأرض وأهل البلد معاً.

والمواطنة بصفتها مصطلحاً معاصراً تعريب للفظة (Citizenship) التي تعني كما تقول دائرة المعارف البريطانية: (علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة في تلك الدولة، على أن تتضمن هذه المواطنة مرتبة من الحرية، مع ما يصاحبها من مسؤوليات). واذا رجعنا الى دائرة المعارف الأمريكية (الانسكلوبيديا الأمريكية) نكتشف أن مفهوم المواطنة هنا يتسع ليضمن حقوق متساوية لمهاجرين أتوا في مجموعات كبيرة من عديد من البلدان، ومن ثم اتسع محققا أيضا وفي ذلك الوقت المساواة الكاملة بين الجميع، ومع الحاجة إلى الحد من هجمات الهجرة الجماعية صدر عام1925م قانون يمنع الهجرة الجماعية، ويحرم المواطن من الجنسية اذا حصل طوعا على جنسية أخرى، أو خدم في جيش بلد آخر. لكن المحكمة العليا الأمريكية أصدرت حكما شهيرا في عام1967 مؤداه أنه لا يجوز سحب الجنسية من مواطن أمريكي إلا بإرادته الحرة.([1])

والخلاصة، فإنه يقصد بالمواطنة: العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات. وهو ما يعني أن كافة أبناء الشعب الذين يعيشون فوق تراب الوطن سواسية بدون أي تمييز قائم على أي معايير تحكمية مثل: الدين أو اللون أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي

[1] . إقتباسا من مقال للدكتور: صابر أحمد عبد الباقي كلية الآداب جامعة المنيا . بعنوان: المواطنة حقوق وواجبات. نشرت على صفحته الإلكترونية. وأماني قنديل (الموسوعة العربية للمجتمع المدني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008 ص 106.

والموقف الفكري. ويترتب على التمتع بالمواطنة سلسلة من الحقوق والواجبات ترتكز على أربع قيم محورية هي: المساواة، والحرية، والمشاركة، والمسؤولية الاجتماعية. ([1])

فالمواطنة إذا لا تعني في المفهوم الحديث مجرد العيش والسكن، بل يترتب عليها حقوق وواجبات تتطلب من المواطن المشاركة الفكرية والإجتماعية والسياسية بل والإقتصادية في أغلب الحالات.

موقف الإسلام من المواطنة:

الأصل بالنسبة للمسلم أن يستوطن بلداً مسلماً كي يستطيع ممارسة كافة أحاكم دينه من جهة، والتنعم ببيئة إسلامية تعينه على إقامة شعائر الإسلام وأحكامه على نفسه وعلى من استرعاه الله أمرهم من زوجة وولد. ولكن إذا وجد مبرر مشروع لإقامته خارج ديار الإسلام فإنه يظل مطالبا بتقوى الله ما استطاع. قال تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال عليه الصلاة والسلام: (اتق الله حيثما كنت... الحديث) ولكن لا بد من تفصيل بعض الأمور المتعلقة بهذا، وبخاصة في الرد على ما يرد من شبهات من اتهام المسلمين بعدم قدرتهم على الاندماج في مجتمع ديار الغربة، أو كونهم لا يستطيعون تحقق متطلبات المواطنة بمفهومها الحديث على أنفسهم وعلى أسرهم.

ولعل أقصر طريق لهذا أن نورد الشبهات المثارة ونرد عليها واحدة بعد الأخرى والله المستعان على ذلك.

الشبهات المثارة حول موقف الشريعة من مفهوم المواطنة:

رأينا عند البحث في مفهوم المواطنة أنها تشتمل على جوانب عدة. لذا فلا بد من تغطية هذه الجوانب جميعها إذا أردنا الرد العلمي على الشبهات المثارة. من هنا نستطيع حصر هذه الشبهات في ثلاثة جوانب هي:

---

[1] أنظر: هاني عياد (المواطنة في التعليم) سلسلة إصدارات منتدى حوار الثقافات (26)، القاهرة، 2004 ص ص 11 12

1 الجانب الفكري.

2 الجانب الإقتصادي والإجتماعي والسياسي.

3 الجانب النفسي.

1 الجانب الفكري:

لعل أكثر ما يدور الحديث عنه هنا مسألة الولاء والبراء. فالشبهة هنا تتلخص في قولهم بأنه لا يمكن للمسلم أن يكون مواطنا حقيقيا في أمريكا أو أوروبا مثلا لأنه لا يستطيع إعطاء ولاءه للبلد غير المسلم الذي يقيم فيه، فهو مطالب شرعا بعدم الولاء لهذه البلاد لأنها بلاد كفر. بل عليه التبرؤ منها.

لو تفحصنا آرىء العلماء في معنى الولاية راينا معناها ينحصر في امرين أساسيين هما: المحبة والنصرة.

فالمسلم يمنح حبه القلبي لمن يشاركه لله ولرسوله وللمؤمنين . قال تعالى: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون } ([1]) والمواطنة لا تتطلب المحبة القلبة لكل شيء، بل تتطلب القيام بالمسؤوليات المشتركة بين جميع المواطنين حسب القوانين، علما بأن هذه القوانين تعطي الحرية للأفراد ليعتنقوا ما يشاؤون من معتقدات أو أفكار بشرط عدم مساسها بالنظام العام للدولة.

أما النصرة فتعني العون على الحق لا على الباطل. ومن هنا فإن المسلم ينصر الدولة التي يستوطن فيها ما دامت تنصر الحق، فإذا تعارض ذلك مع عقيدة المسلم فإن الحرية المعطاة له بمفهوم المواطنة الحديث

[1] المائدة 56

تسمح له بالتعبير عن رأيه المخالف، لكن بما لا يلحق ضرراً بالبنية العامة للمجتمع. وأدل مثال على ذلك الملاكم المسلم: محمد علي كلاي الذي رفض المشاركة في حرب فيتنام وتم حبسه بناء على ذلك. ولكن في النهاية كرم لموقفه الشجاع هذا، إذ تبين للأمريكيين فيما بعد أن هذه الحرب كانت خاطئة و لم تكن ذات مصداقية أخلاقية. لذا أصبح كلاي بطلا قوميا، و لم يطلب أحد سحب الجنسية الأمريكية منه خلال خلال تلك الفترة الحرجة رغم موقفه السلبي من حرب كان الجيش الامريكي متورطا فيها.

أما بالنسبة للمحبة فإن المواطنة لا تعني أن نحب كل ما يتعلق بالبلد الذي نقيم فيه، بل تعني كما بينت سابقا ترتب حقوق وواجبات على المواطن. كما إن المحبة الخاصة التي يمنحا المسلم لمن يشاركونه في المعتقد لا تعني الحقد أو العداوة للمخالف ما دام لا يعاديه أو يعين عليه عدوه قال تعالى: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين.} ([1])

ولعل من تمام الفائدة هنا أن أختم هذه الفقره بذكر ما جاء في البيان الختامي للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في دورته العادية السابعة عشرة المنعقدة بمدينة سراييفو/ البوسنة والهرسك في أيار/ مايو2007 فقد أقرّ بإن مواطنة المسلمين في المجتمع الأوروبي أمر مشروع من حيث المبدأ، تسعه مقاصد الدين الإسلامي، إذ تمثّل هذه المواطنة جسراً بين العالم الأوروبي والعالم الإسلامي مما يعود على العلاقة بين الطرفين بالخير. وهي لا تخالف الولاء الشرعي، إذ لا يلزم من وجود المسلم في غير ديار الإسلام الالتزام بما يخالف دينه من مقتضيات المواطنة، كالدفاع عنها إذا اعتدي عليها، والأصل أن يكون المسلمون في مقدَّمة من يدفع الضرر عن بلده، كما لا يحل له أن يشارك في أي اعتداء تقوم به بلده على أي بلد آخر سواء كان إسلامياً أم لا. ومن واجبات المواطنة التعايش واحترام الآخر، والتزام القيم الأخلاقية كالعدالة والتعاون على الخير، والنصح من خلال القوانين السائدة لإصلاح ما يضر البلاد أو العباد. كما أن اندماج المسلمين الإيجابي في المجتمع الأوروبي لا يتعارض مع مبدأ الولاء

[1] سورة الممتحنة: 8

والبراء، فإذا ما أعيد إلى معناه الأصلي الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة فإنه لا يكون معارِضاً لمواطنة المسلمين وتفاعلهم مع المجتمع الأوروبي. . ويتجلى هذا التفاعل بالمشاركة في التنمية الحضارية أخذاً وعطاءً، التي من شأنها حين تُصبح ثقافة للمسلمين، أن تيسّر الاندماج الإيجابي والمواطنة الصالحة.

ولكن الاندماج موضوع البحث محفوف بالمزالق، وهو مُعرض إلى أن ينتهي بالذوبان كما حدث في تجارب سابقة للمسلمين؛ لذلك ينبغي أن تُحدَّد له ضوابط وقواعد تسير به في مساره الوسط المُنتج، وتعصمه من الانعزال أو الذوبان، منها:

أ تحديد معنى الاندماج المطلوب، وتحديد محتواه، بحيث يتميز عما يُراد منه من قبل بعض الجهات حيث تعني به الذوبان. ولذلك ينبغي السعي إلى التحاور مع المؤسسات الأوروبية للاتفاق على مفهوم مشترك للاندماج.

ب أن يكون مُقيّداً بالمحافظة على خصوصية المسلم الممثلة في العقيدة والشعائر والأخلاق والأحكام الشرعية خصوصاً ما كان منها قطعياً، وأن تكون المرونة فيه في سياق ما هو قابل للاجتهاد من أحكام الدين.

ج أن يتم من خلال احترام القوانين التي تُنظم المجتمعات الأوروبية.

د أن يكون مبنياً على أساس من البحث العلمي للواقع الأوروبي.

هـ أن يقوم على استثمار الفرص والإمكانات الكثيرة المُتاحة في المجتمع الأوروبي.

و أن يكون قائماً على أساس من الحوار المستمر مع مُكونات المُجتمع الأوروبي الثقافية والسياسية والاجتماعية.

إن أهم آليات الاندماج وأسبابه هي تزكيةَ الفرد والجماعة المسلمة؛ وذلك للارتقاء به وبها إلى مستوى المثالية والقدوة في المجتمع الأوروبي. وتعتمد سبل تحقيقه على الاعتناء بالدور المهم لمؤسسة الأسرة، فهي المحضن الذي يتربى فيه الفرد على هويته الإسلامية، وعلى العلاقة بمجتمعه الذي يعيش

فيه بالتفاعل المثمر. كذلك هي المحضن الأول لتمكين صفة المواطنة الصحيحة المقتضية احترام المجتمع والسعي في تحقيق مصلحته، مع بذل الجهد في تأهيل الأسرة المسلمة لتقوم بدورها الفاعل في القيام بدور الاندماج الإيجابي.

وتأتي سائر المحاضن المؤثرة في تكوين شخصية المسلم، كالمدرسة الإسلامية، والمركز، والمسجد، والنادي، جميعها في سياق التأهيل لاندماج إيجابي في المجتمع الأوروبي.

على أن مخطط إدماج الأقليات المسلمة في الكيان الثقافي الغربي غالباً ما كان يلقى معارضة ومقاومة كبيرة من المسلمين وذلك بسبب حرص الجاليات والأقليات المسلمة على التمسك بذاتيتها الثقافية وخصوصيتها الإسلامية الأصيلة. غير أن هذا الحرص من جانب المسلمين في الغرب لا يعني انغلاقاً على الذات أو انعزالاً عن المجتمعات الغربية. فقد برهنت الجالية المسلمة في الغرب على قدرتها على الاندماج الاقتصادي وقدرتها على التعايش مع سكان المجتمعات الغربية.

2 الجانب الإقتصادي والإجتماعي والسياسي:

كادت التحولات العالمية الأخيرة ومنها طموح العولمة الاقتصادية أن تفرض أنموذجاً للعولمة الثقافية الشاملة على المستوى العالمي لذا فإن هذا الطرح الثقافي الجديد سيصطدم بلا شك بثقافات الشعوب الأخرى ومنها الثقافة الإسلامية في الأوطان الإسلامية. فإذا كان هذا الخطر الجديد ماثلا في مجتمعات المسلمين فكيف به في البلاد التي يقطنها المسلمون كأقلية؟ وإذا كان التوحيد الثقافي يشكل خطراً جديداً يواجه الأمة الإسلامية كلها فلا بد لها وهي تواجه هذه الأخطار أن تسعى جاهدة لحماية الجاليات والأقليات المسلمة التي تعيش في مجتمعات غير إسلامية، وذلك حتى لا تتعرض لأخطار الذوبان أو التذويب أو التغريب الفكري.

لعل قضية الإندماج والتي هي موضوع بحثي تظهر بأجلى صورها في الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والسياسية. إذ لا بد للمسلم هنا من التعامل مع غيره في هذه المجالات بصورة عامة.

وقبل أن ألج في التفاصيل أطرح السؤال التالي: ما هو المقصود بالإندماج ؟ هل المقصود به الذوبان في مجتمع الغربة في كافة المجالات أم اتباع القوانين المعمول بها مع إحترام بعض الخصوصيات التي لا بد لبعض الجاليات من التمسك بها؟ فمن المعلوم أن المجتمع الأمريكي يتألف من خلفيات ثقافية متعددة ومتنوعة. ولا بد من مراعاة هذه الصوصيات، ومن غير الممكن إلزامها جميعا بالإندماج في كل شيء . ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك عدم تعامل المسلمين بالربا. فقد عمَت معرفة الناس هنا بهذا الأمر، وراعى كثير من غير المسلمين خصوصية المسلمين هذه حتى عرضت بعض المؤسسات الإقتصادية للمسلمين امتيازات خاصة لا تعامل ربوي فيها. كبعض شركات السيارات، وبعض البنوك. وما كان هذا ليتم لو أن المسلمين اندمجوا في تعاملهم الإقتصادي في هذا المجتمع بصورة كلية. والأمر نفسه حصل فيما يتعلق بلحم الخنزير وهكذا.. ولعل من المناسب هنا أن نفيد من تجربة المسلمين في أوروبا في هذا المجال ، فالجالية المسلمة هناك اوسع تجربة منا في أمريكا زمانا، لأن الوجود الإسلامي في أمريكا حديث مقارنة بأوروبا.

لنستمع لأحد المنظرين الغربيين المعاصرين لنطلع على حقيقة الامر. يقول: (فرانكو فراتيني) نائب رئيس المفوضية الأوروبية: "الاندماج يعني أن يتفق الناس على نفس المبادئ الرئيسة، أي أن المهاجرين يجب أن يقبلوا القوانين والأسس والقيم الرئيسة المتبعة في أوروبا مثل حقوق الإنسان والمساواة بين الرجل والمرأة وغيرها. ويجب على كل من يرغب في الاندماج في دول الاتحاد الأوروبي أن يحترمها". ولا يخفي فراتيني مطلب الاتحاد الأوروبي بأن يكون الإسلام في دياره "إسلاماً أوروبياً". وتعقيباً على هذا المطلب يقول بعض المسلمين إن الدعوة إلى إسلام أوروبي يعني هدم الإسلام نفسه، وهذا مما لا

يمكن للمسلمين القبول به. والبعض يسأل: لماذا يستطيع الصيني أو الهندي أو المكسيكسي أو غيرهم أن يعيشوا في أرض المهجر الغربية من دون أن يفقدوا هوياتهم الأصلية؟

إذا ما قارنا بين وجهتي نظر المسلمين وحكومات الاتحاد الأوروبي حول الاندماج، اللتين عرضت أبرز ملامحهما، نجد أن نقاط التلاقي بينهما أكثر من نقاط التباعد، فكلتاهما تؤكد على مبادئ أساسية هي: الالتزام بالقوانين الخاصة بواجبات المواطنة وحقوقها، والأسس والقيم الرئيسة المتبعة في أوروبا مثل حقوق الإنسان، والديمقراطية، واللوائح الموضوعة من قبل الجهات الرسمية، والمشاركة الإيجابية والفعالة في مؤسسات المجتمع المدني، والأنشطة البيئية والاجتماعية في الحي والمدينة وعلى مستوى الدولة، وبناء العمل المؤسسي، والبعد عن التمحور حول العرقية والمذهبية والطائفية، واعتبار المسلمين جزءاً أساسياً من

المجتمعات الأوروبية، ومن تاريخها وحاضرها ومستقبلها .([1])

إلاّ أن بعض المسلمين في أوروبا لا يزال يرى أن الاندماج من وجهة نظر الاتحاد الأوروبي يعني أن يصير المواطن المهاجر أو المسلم أوروبياً أولاً ثم مسلماً ثانياً، أو ما يسمَّى أحياناً (الاعتدال)، وهذا في رأيه خلط وتعدٍّ على حق المواطن والفرد في اختيار أولويات انتماءاته، لأنه يؤدي إلى تعنت وقسر، ومن ثَم ضغط واضطهاد. ولكن من جانب آخر يشوب فهم المسلمين للاندماج أحياناً اللبس وضعف التفاهم حينما يعتقدون بأنه حقوق دون واجبات، والتزامات من قِبَل الدولة الغربية نحو الأفراد دون مقابل من جهة الفرد. وفي هذا السياق يؤكد كتاب (استراتيجية العمل الثقافي في الغرب) الذي أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو) أن مخطط إدماج الأقليات المسلمة في

[1] -الدكتور أسامة القفاش،" الإسلام والمسلمون في أوروبا بعد 11 سبتمبر"، الموقع www.elnafeas.net
وكذلك "الأقليات المسلمة في الدول الأوروبية أمل وألم: موقع مفكرة الإسلام الالكتروني www.islammemo.cc

الكيان الثقافي الغربي غالباً ما يلقى معارضة ومقاومة كبيرة من المسلمين؛ بسبب حرص الجاليات المسلمة على التمسك بذاتيتها الثقافية وخصوصيتها الإسلامية. ([1]).

أخيرا فإن الذي يهمنا في هذا البحث أن نعلم أن الشريعة الإسلامية لا تقف حائلا أمام المسلمين كي يتعايشوا مع غيرهم من المسلمين سواءً في بلاد الإسلام أو خارجها. لكن ما تتطلبه الشريعة من الفرد المسلم في ديار لا تخضع لنظام الإسلام أن يطبق ما يستطيعه منها على نفسه وعلى من استرعاه الله أمرهم من زوجة وولد، وهو ليس مكلفا بتطبيقها على المجتمع لأنه لا يخضع للإسلام في أصل الأمر. فمن المعلوم أن الشريعة كنظام شامل إنما يناط أمر تطبيقها بالحاكم المسلم الذي يتولى أمر المسلمين في دار الإسلام. والخلاصة فإني لا أرى اختلافاً بين حال المسلمين في أوروبا وأمريكا بالنسبة لهذا الأمر. فإندماج المسلمين فيهما بالمجتمع المحلي ممكن بشرط ألا يطال شيئاً من العقيدة الإسلامية أو مقتضياتها في الخلق والسلوك. وتحقيق هذا التوازن ممكن أيضا بشرط وجود قيادة فكرية ودينية واعية توجه المسلمين للتوفيق بين الأمرين بما يرضي الله سبحانه، بحيث تشكل المرجعية الدائمة للمسلمين لإيجاد الحلول للإشكالات التي تنتج عن هذه المعايشة.

3 الجانب النفسي:

[1] كتاب : (استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب) أصدرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ــ إيسيسكو ــ ويقع الكتاب في 144 صفحة من القطع المتوسط·· وقد وضعه مجموعة من خبراء الإيسيسكو ووضع مقدمته الدكتور عبدالعزيز التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة··· والكتاب في جوهره وثيقة حيّة من وثائق العمل الإسلامي المعاصر· والكتاب ثمرة جهد كبير، شارك فيه عدد لا بأس به من العلماء والمفكرين، الذين عقدوا الكثير من الاجتماعات الفكرية عبر السنوات القليلة الماضية··· حيث أكدت المناقشات، التي عقدت في كل من فرنسا وأسبانيا وبلجيكا··· على ضرورة إعداد استراتيجية للعمل الثقافي الإسلامي في الغرب··· وقد تم إنجاز هذه الاستراتيجية في اجتماع ضمّ رؤساء المراكز والجمعيات الإسلامية في الغرب··· خلال اجتماع في مدينة زغرب في كرواتيا مع لجنة من خبراء الإيسيسكو ···ثم عُرضت بعد ذلك على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية··· إلى أن عُرضت على مؤتمر القمة الإسلامية التاسع الذي عقد في مدنية الدوحة عاصمة قطر في نوفمبر العام 2000م، فأقرَّها··· وبذلك أصبحت هذه الاستراتيجية دليلاً على وعي الأمة وإرادتها الجماعية لحماية الهوية العقائدية للجاليات والأقليات المسلمة في الغرب·

يدعي بعضهم بأن الإسلام يدعو أتباعه القاطنين في أمريكا للعزلة الكاملة عن المجتمع، وهذا يؤدي في نظرهم إلى استحالة اندماج المسلمين في هذا المجتمع. وهذا الإدعاء غير سليم لأن العزلة التي دعى إليها الإسلام لا تعني العزلة الحسية عن المجتمع، بل تعني الحصانة الفكرية والروحية والأخلاقية ضد ما يتعارض مع مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقياته. وهذا مطلوب من المسلم حتى في بلده المسلم كيما يحافظ على نقاء إيمانه وصفاء قلبه خشية أن تترك مشاهد المعصية، والمظاهر المخالفة لدينه أثرا في فكره أو روحه مما قد ينعكس عليه سلبا مع مرور الوقت. وكمثال على ذلك عدم مشاركة من يغوص في أحاديث باطلة مخالفة للإسلام. قال تعالى: { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين. } ([1])

وهذا يكون كما ذكرت في حالة خاصة كالتي ذكرها ربنا سبحانه وتعالى. وهذا لا يعني أبدا أن يكون المسلم معزولا جسديا عن المجتمع انعزال فرقة وانفصال بصورة مستمرة. فقد روى عبد الله ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " : الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي لا يُخَالِطُهُمْ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ. " ([2]) والمخالطة المدعو إليها المذكورة في هذا الحديث لا تقتصر على مخالطة المسلم بل هي للناس جميعا كما ورد في هذا الحديث. فالمسلم داعية إلى الله بسلوكه وكلامه ولا بد له من الإختلاط بالآخرين لتبليغ دعوته ولو بطريق غير مباشر ، كما أنه لا بد وأن يخالط الناس ضاربا في الأرض لكسب معاشه. والمسلمون ومنذ عصر النبوة لم ينكفئوا على أنفسهم بل خالطوا غيرهم من أهل الديانات ولكن مع شعورهم بالعزة بما أنعم عليهم من هداية، مع لين الجانب وحسن المعاشرة في الوقت نفسه. فالمسلم يستطيع أن يجمع بين الامرين معا وبدون مداهنة أو نفاق، وهذا معروف مشهود لكل منصف مطلع على التاريخ البعيد والقريب للمسلمين.

---

[1] سورة الأنعام: 68

[2] أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 388 والإمام أحمد في مسنده: 5002

2 المبحث الثاني:

نظرة تاريخية للأقلية المسلمة في بلاد غير المسلمين:

عاش المسلمون كأقلية في مجتمعات غير المسلمين في بلاد متعددة من هذا العالم بصورة حضارية رائعة، سواء أكانوا من أهل البلاد الأصليين أو جاؤوا مهاجرين أو فاتحين. ولم يشكلوا في تاريخهم تهديدا لحضارة بلد أو ازدهاره بل ساهموا وبصورة فعالة جدا في التطور بشتى أشكاله ومختلف مناحيه.

مثال من البلاد الروسية:

يعود تاريخ الإسلام في روسيا إلى ما قبل أكثر من 1400 سنة . فقد أعتنق بعض المواطنين الدين الإسلامي في منطقة حوض الفولغا رسميا قبل قرن من إعلان الأرثوذكسية دينا لروسيا .

الإسلام الآن هو الدين الثاني في البلاد من ناحية عدد معتنقيه بعد الدين المسيحي الأرثوذكسي.

ويعيش في روسيا في الوقت الحاضر وفقا لتقييمات الخبراء من 15 إلى 24 مليون مسلم.

وعدد أبناء الشعوب التي تتمسك بالتعاليم الإسلامية في روسيا وفقا للإحصاء السكاني الأخير الذي أجري في البلاد عام 2002 يصل إلى ما يقارب 14,5 مليون نسمة.

(ومع القرن السادس عشر كان الإسلام قد صار جزءاً لا يتجزأ من نمط الحياة في الفولغا وفي كل من تترستان وبشكيريا على وجه الخصوص. وبينما حدث الصدام المسلح بين الإمارة الروسية وتترستان يشير آيسولو يونسوف إلى أنه قد حدث نوع من الاتفاق بين البشكير والقيصر الروسي إيفان الرهيب على دخول بشكورتوستان في مركب روسيا القيصرية مع احتفاظها بالإسلام ديناً، بحيث تنجو من الدخول عنوة أو أن تجبر على اعتناق المسيحية.

ورغم احتفاظ تترستان وبشكيريا بالإسلام، إلا أن ارثوذوكسية روسيا القيصرية لم تنفك تحاول إجبار المسلمين على ترك دينهم بالترهيب تارة أو بدفع رواتب واغراءات مالية تارة أخرى، بل إنها لم تتورع خلال القرن السادس عشر عن رفع الصلبان محل المآذن.

ومن الخصوصيات الأخرى التي ميزت إسلام بشكيريا وتترستان التعارض بين القوانين الاقتصادية

للإسلام وقوانين روسيا المسيحية خاصة فيما يتعلق منها بممتلكات الوقف التي كانت تتبع المؤسسات الدينية والتي صادرتها السلطة القيصرية دون اعتناء بالمضمون الديني للوقف. فبعد أن استولى الروس عنوة على مدن كازان واستراخان تعرض التتار (والكلام هنا مقتبس من منظمة يونسوف التابعة للأمم المتحدة)لعملية مسخ الهوية الإسلامية وصبغها بصبغة مسيحية.

وبدأت سلسة تدمير المساجد في إقليم نهر الفولغا. اجتاحت الشيوعية روسيا في النصف الأول من القرن العشرين، وسرعان ما أعادت مفاهيم القهر والتضييق وازدراء الدين؛ فقد نظر البلاشفة إلى الدين باعتباره أفيوناً للجماهير، ومن ثم صنفته كعدو للشعوب السوفييتية، وهكذا عمل السوفييت على إجهاض المؤسسات الدينية التي تشكلت خلال الفترة الرأسمالية والتي حسب الرؤية الشيوعية استغل فيها: (رجل الدين) الإنسان الكادح.

وجاء ضرب الإسلام نتيجة خوف البلاشفة من الأفكار التي شاعت مبكراً بين مسلمي الإقليم حول الجامعة الإسلامية أو الجامعة التركية، وهي أفكار كفيلة لو تحققت بتهديد روسيا التي كانت ما تزال تصاغ حدودها في ذلك الوقت.وكان انهيار الإمبراطورية العثمانية عشية الحرب العالمية الأولى واختفاء الخلافة الإسلامية جنباً إلى جنب مع ظهور العلمانية في عديد من دول العالم الإسلامي في الربع الأول من القرن العشرين بمثابة الظروف التاريخية المثلى التي ساعدت البلاشفة على توصيل حملتهم المعادية للأديان إلى المناطق الإسلامية الخاضعة لحكمهم، وأن السعي إلى تحريك "الجماهير الإسلامية الكادحة" وخلق إنسان مسلم سوفييتي جديد في المناطق الإسلامية لم يكن ليتأتى من دون علمنة لهذا المجتمع..

وهكذا قامت الدعاية الإلحادية بمهاجمة ما أسمته "الرجعية" الإسلامية التي تقف عقبة في سبيل بناء المجتمع الشيوعي. أما القيم التي تم نقلها للشباب عبر الحزب الشيوعي ولجانه الشبابية، فقد سعت إلى إزاحة العادات والتعاليم الإسلامية عن السطح.) ([1])

من هنا نرى أن المسلمين في تلك البقعة لم يشكلوا خطرا على المجتمع، و لم ينفصلوا عنه بل عاشوا مسالمين ولا يزالون رغم البطش والظلم اللذين مورسا عليهم، ورغم قيام السلطات بغصب أوقافهم الإسلامية، وتدمير وإغلاق كثير من مساجدهم إبان الحكم البلشفي، حيث حُول الكثير منها

[1] نقلا عن الصفحة الإلكترونية ل: (بلقيس اليمن) مع بعض التصرف www.p-yemen.com

إلى مخازن واسطبلات! وفي النهاية استطاع المسلمون الحفاظ على دينهم، وهم اليوم يتقدمون بخطى حثيثة والحمد لله.

إن المسلمين القاطنين في أمريكا اليوم هم خليط من أهل البلاد الاصليين والمهاجرين، وهم جزء من النسيج الامريكي، وقد انخرط بعضهم في العمل السياسي وصار لهم دور بارز. ومع ذلك فهم في الجملة لم يذوبوا في خضم هذا المجتمع بل ظلوا محافظين على دينهم، يؤدون شعائره ويطبقون أحكامه بقدر استطاعتهم. ولم نر من الأمريكيين غير المسلمين في الجملة إلا التفهم والتعاون معهم عدا ما ظهر من بوادر سلبية بعد أحداث الحادي عشر من ايلول عام 2001م من بعض المتعصبين أو ممن غرر بهم عن طريق الإعلام المضلل. بل إن التلهف لمعرفة الإسلام آخذ في الإزدياد. وهذا يبشر بخير كبير بعون الله وقوته وتوفيقه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالين.